مقياس: النص الأدبي المعاصر	يوم الثلاثاء: 08 شعبان 1447/ 27 جانفي 2026
السنة الثانية دراسات نقدية	
محاضرة 01: القصيدة العمودية في الشعر العربي الحديث	

القصيدة العمودية في الشعر العربي الحديث

مقدمة عامة:

سياق التحول من الجمود إلى النهضة لا يمكن فهم "القصيدة العمودية" في العصر الحديث دون العودة إلى الجذور التاريخية التي سبقت بزوغ فجر النهضة العربية.

فقد مر الأدب العربي بفترة تاريخية طويلة اصطلح النقاد على تسميتها بـ "عصر الانحطاط" أو "عصر الركود"، وهي الفترة الممتدة من سقوط بغداد (1258م) حتى منتصف القرن التاسع عشر. خلال هذه القرون، فقد الشعر العربي حرارته العاطفية وجزالته اللغوية، وتحول إلى "جثث هامدة" من الألفاظ المحنطة بالمحسنات البديعية المتكلفة، حيث انشغل الشعراء بالألغاز، والتأريخ الشعري، والزخارف اللفظية التي لا روح فيها.

مع مطلع القرن التاسع عشر، وبفعل الاحتكاك بالحضارة الغربية وظهور الطباعة والصحافة، استيقظ الوعي العربي، وكان لابد لهذا الوعي من "لسان" يعبر عنه.

هنا برزت الحاجة إلى العودة إلى الأصول، إلى عصر القوة (الجاهلي والعباسي)، لاستلهام النماذج العليا التي تعيد للغة هيبتها وللشعر دوره الريادي. ومن هنا نشأت مدرسة الإحياء والبعث، التي اتخذت من القصيدة العمودية قالباً مقدساً لإعادة بناء الشخصية العربية الأدبية.

1. القصيدة العمودية المفهوم والنشأة التاريخية

أ. مفهوم "عمود الشعر" في الوعي النقدي:

مصطلح "القصيدة العمودية" ليس مجرد وصف لشكل القصيدة (نظام الشطرين)، بل هو إحالة إلى نظرية نقدية متكاملة تسمى "عمود الشعر". وقد وضع معالمها الكبرى الناقد المرزوقي في مقدمة شرحه لـ "ديوان الحماسة"، حيث حدد سبعة معايير للقصيدة الفائقة:

1) **شرف المعنى وصحته:** أن يكون المعنى نبيلاً ومطابقاً للعقل.
2) **جزالة اللفظ واستقامته:** اختيار الألفاظ القوية المسبوكة بعناية.
3) **الإصابة في الوصف:** القدرة على تصوير المشاهد بدقة وصدق.
4) **المقاربة في التشبيه:** أن يكون التشبيه قريباً من النفس وواضح الدلالة.

5) **التحام أجزاء النظم:** أن تكون القصيدة وحدة متماسكة لا تنافر فيها.

6) **مناسبة المستعار منه للمستعار له:** جودة الاستعارة.

7) **مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية:** التوافق الموسيقي والدلالي.7.

➢ **في العصر الحديث، تعني القصيدة العمودية** الالتزام بهذا الموروث مع ضخ دماء جديدة فيه، بحيث تظل القصيدة وفية لـ وحدة الوزن والقافية ونظام الصدر والعجز.

ب. النشأة:

من المنفى إلى المنبر نشأت القصيدة العمودية الحديثة في أحضان الحركات الوطنية، فبينما كان الاستعمار يحاول طمس الهوية العربية، كان الشعراء يرفعون راية "عمود الشعر" كدليل على البقاء والقدرة على المواجهة.

كانت البداية الحقيقية مع محمود سامي البارودي الذي تمكن بمفرده من قفز فجوة القرون، ليعيد وصل ما انقطع بين شعراء العصر الحديث وفحول العصر العباسي مثل المتنبي وأبي تمام.

2. **<u>أبرز شعراء القصيدة العمودية في الوطن العربي (قائمة مختارة)</u>**

تُعد القصيدة العمودية رمزاً للأصالة الشعرية العربية، وقد برز في الدول المحددة شعراء حافظوا على هذا الموروث مع تجديد مضامينه:

نموذج شعري	أبرز الدواوين	الشاعر	الدولة
"قُم لِلمُعَلِّمِ وَفِّهِ التَبجيلا / كادَ المُعَلِّمُ أَن يَكونَ رَسولا"	الشوقيات	أحمد شوقي	**مصر**
"يا شامي يا قبلة الله للدنيا / و يا راحها المصفّى العتيقا"	البلبل الغريب	بدوي الجبل	**سوريا**
"يا عاقد الحاجبين على الجبين اللجين / إن كنت تقصد قتلي قتلتني مرتين"	الهوى والشباب	الأخطل الصغير (بشارة الخوري)	**لبنان**
"موطني.. موطني / الجلالُ والجمالُ والسناءُ والبهاءُ في رُباك"	ديوان إبراهيم طوقان	إبراهيم طوقان	**فلسطين**
"مدرستي حان الرحيل / و آن أن نفترقا / هيا نردد يا زميل / إلى اللَقا إلى اللَقا"	همسات من الجزائر	محمد الأخضر السائحي	**الجزائر**

3. **خصائص القصيدة العمودية في العصر الحديث:**

تتميز القصيدة العمودية في العصر الحديث بخصائص فنية وموضوعية متجددة، حافظت على أصالتها مع استيعاب روح العصر. فيما يلي نماذج شعرية تطبيقية لكل خاصية مع تحليل موجز:

أولاً: الخصائص الفنية (البناء الموسيقي واللغوي)

أ. الموسيقى الخارجية الصارمة (النظام العروضي)

يقول محمود سامي البارودي: بحر الطويل (الفخامة والحزن العميق):

أَبِيتُ حَزِيناً فِي سَرَنْدِيبَ سَاهِراً ... طِوَالَ اللَّيَالِي وَالْخَلِيُّونَ هُجَّدُ

يظهر بحر الطويل هنا بجزالته وامتداده ليحمل أنين المنفى وفخامة الشكوى، مما يعكس الحزن العميق الذي يعيشه الشاعر.

ويقول أحمد شوقي: في بحر البسيط (الحكمة والوصف الدقيق):

ريمٌ عَلى القاعِ بَينَ البانِ وَالعَلَمِ ... أَحَلَّ سَفْكَ دَمي في الأَشْهُرِ الحُرُمِ

استخدم شوقي بحر البسيط هنا ليمنح القصيدة انسيابية في الوصف وجمالاً في الاستهلال، ويناسب طبيعة الغزل العفيف.

ب. هندسة القافية (الالتزام بحرف الروي)

يقول شوقي في قصيدته السينية:

اِختِلافُ النَهارِ وَاللَيلِ يُنسي ... اِذكُرا لِيَ الصِبا وَأَيّامَ أُنسي

فالتزام حرف السين المكسورة كروي للقصيدة يمنحها نغمة موسيقية موحدة ومريحة للأذن، ويؤكد على الهوية الصوتية للقصيدة.

ج. التصريع والتقفية (إعلان موسيقي عن هوية القصيدة)

يقول أحمد شوقي: **سكتُّ فغرَّ أعدائي السكوتُ ... وظنوني لأهلي قد نسيتُ**

يظهر التصريع في البيت الأول حيث يتفق الشطران في القافية (التاء المضمومة)، وهو بمثابة إعلان موسيقي عن هوية القصيدة ويجذب انتباه السامع.

د. وحدة البيت والوحدة الموضوعية

•وحدة البيت (استقلالية المعنى):

إذ يمكن فهم معنى هذا البيت بشكل كامل بمعزل عن بقية القصيدة، مما يدل على استقلالية البيت كوحدة دلالية.

•الوحدة الموضوعية (تماسك الأبيات حول فكرة مركزية):

ففي قصيدة "نهج البردة" لأحمد شوقي، تدور الأبيات كلها حول مدح الرسول ﷺ وصفاته، مما يحقق وحدة موضوعية متكاملة .

وعلى الرغم من استقلالية البيت، إلا أن القصيدة الحديثة تحرص على تماسك الأبيات وتوحدها حول فكرة أو موضوع مركزي، كما في قصائد المديح النبوي لشوقي.

هـ. القاموس اللغوي التراثي (استعادة الألفاظ الجزلة)

ففي العصر الحديث، استخدم شعراء مثل البارودي ألفاظاً مثل "الدجى" (الظلام)، و"السرى" (السير ليلاً)، و"القنا" (الرماح لاستعادة فخامة اللغة الشعرية التراثية والابتعاد عن الركاكة.

و. المعارضة الشعرية (مبارزة أدبية)

البحتري: **صُنتُ نَفسي عَمّا يُدَنِّسُ نَفسي ... وَتَرَفَّعتُ عَن جَدا كُلِّ جِبسِ**

أحمد شوقي: **اِختِلافُ النَهارِ وَاللَيلِ يُنسي ... اِذكُرا لِيَ الصِبا وَأَيّامَ أُنسي**

عارض شوقي سينية البحتري الشهيرة، محافظاً على الوزن والقافية، ليثبت قدرته على الإبداع ضمن الإطار التقليدي ومنافسة فحول الشعراء القدامى.

ثانياً: الخصائص الموضوعية (المضمون والرسالة)

أ. النزعة الوطنية والقومية (القصيدة كسلاح)

يقول أحمد شوقي: **وَلِلأَوطانِ في دَمِ كُلِّ حُرٍّ ... يَدٌ سَلَفَت وَدَينٌ مُستَحِقُّ**

يعبرالشاعر في هذا البيت بوضوح عن قيمة الوطن وواجب الدفاع عنه، محولاً القصيدة إلى أداة للتعبير عن المشاعر الوطنية والقومية الصادقة.

ب. التعبير عن قضايا العصر (المخترعات الحديثة)

•النموذج لأحمد شوقي في (وصف الطائرة):

أَعُقابٌ في عِنانِ الجَوِّ لاح ... أَم سَحابٌ فَرَّ مِن هَوجِ الرِياح

يصف شوقي الطائرة بأسلوب شعري عمودي، مستخدماً صوراً بلاغية ليلائم المخترعات الحديثة مع اللغة التراثية، مما يدل على قدرة القصيدة العمودية على استيعاب المستجدات.

ج. الصدق الشعوري (التعبير عن المشاعر الحقيقية)

يقول محمد مهدي الجواهري: **يَا دِجْلَةَ الخَيْرِ يَا أُمَّ البَسَاتِينِ ... حَيَّيتُ سَفْحَكِ عَنْ بُعْدٍ فَحَيِّينِي**

فالبيت عبارة عن تعبير صادق عن لوعة الغربة والحنين الجارف للوطن (العراق ونهر دجلة)، يظهر فيه الشاعر مشاعره الحقيقية بعيداً عن التكلف والصنعة اللفظية.

محمود سامي البارودي - رائد الإحياء1.

أ. **سيرة الفارس والشاعر** يُلقب البارودي بـ "**رب السيف والقلم**". ولد في أسرة شركسية لها باع في الجندية والسياسة. ترقى في المناصب العسكرية حتى أصبح وزيراً للحربية ثم رئيساً للوزراء في **عهد الثورة العرابية.**

بعد فشل الثورة نُفي إلى جزيرة "سرنديب" (سريلانكا حالياً) حيث قضى 17 عاماً في الغربة. هذه الغربة كانت "المختبر" الذي صهر فيه موهبته، فكتب أروع قصائده العمودية التي تمزج بين فخر الفارس وحنين المنفي.

ب. **دوره في إحياء القصيدة العمودية:** استطاع البارودي أن يخلص الشعر من:

التكلف البديعي: استبدل الزخارف بالمعاني القوية.

الخيال الضيق: أعاد للشعر قدرته على التصوير الكلي والشامل.

الركاكة: أعاد بناء الجملة الشعرية على أسس متينة من النحو والصرف والبيان.

ج. **نموذج تحليلي:** قصيدة "سرنديب"يقول البارودي في مطلعها:

حَيِّ بَرِيْدَ الصَّبَا إِنْ جَاءَ يَحْمِلُهُ ... نَشْرُ الخُزَامَى، وَأَهْدِ السَّلْمَ لِلْغَادِي

وَقُلْ لِمِصْرَ: سَقَاكِ اللهُ مِنْ بَلَدٍ ... صَوْبَ الغَمَامِ، وَأَرْوَى سَاحَكِ الصَّادِي

البنية: القصيدة من بحر البسيط، وهو بحر رزين يتناسب مع وقار الشاعر المنفي

اللغة: يستخدم "بريد الصبا" و"نشر الخزامى"، وهي صور مستمدة من التراث لكنها تخدم عاطفة الحنين الجارفة وطنه مصر.

الوحدة: رغم أن الأبيات قد تبدو مستقلة، إلا أن "خيط الحنين" يربطها جميعاً في وحدة موضوعية ونفسية متماسكة.

4. مفدي زكريا - شاعر الثورة والجزالة:

أ. **سيرة شاعر "إلياذة الجزائر":** إذا كان البارودي قد أحيا القصيدة في المشرق، فإن مفدي زكريا قد منحها "روحاً ثورية" في المغرب العربي، ولد في بني يزقن (غرداية)، وانخرط مبكراً في العمل السياسي والنضالي ضد الاستعمار الفرنسي.

سُجن عدة مرات، وفي غياهب السجون كتب أعظم قصائده، ومنها النشيد الوطني الجزائري "قسماً".

ب. . القصيدة العمودية كملحمة وطنية

تميز مفدي زكريا بقدرته الفائقة على تطويع القالب العمودي لخدمة "الملحمة". فقصيدته الشهيرة "إلياذة الجزائر" التي تزيد عن ألف بيت، هي سرد تاريخي وعقدي وفلسفي لتاريخ الجزائر، صِيغت بأسلوب عمودي باهر يجمع بين قوة اللفظ وجلال الفكرة.3. نموذج تحليلي: قصيدة "الذبيح الصاعد"يصور فيها لحظة إعدام الشهيد أحمد زبانة:

قَامَ يَخْتَالُ كَالمَسِيحِ وِئَاداً ... وَيَتَهَادَى كَالصُّبْحِ فجراً عِمَادَا

وَتَسَامَى كَالطَّوْدِ شَمْخاً وَأَنْفاً ... وَتَسَامَى كَالنَّجْمِ ضَوْءاً وَهَادَا

التحليل:

الإيقاع: استخدام بحر الكامل (متفاعلن متفاعلن متفاعلن) يعطي إيقاعاً عسكرياً مهيباً يشبه وقع خطى الشهيد نحو المقصلة.

•**الصورة**: تشبيه الشهيد بالمسيح (في تضحيته) وبالطود (في ثباته) يرفع الحدث من مجرد إعدام سياسي إلى "طقس قدسي" للحرية.

•**اللغة**: لغة مفدي زكريا "معدنية" صلبة، تليق بصلابة الثورة الجزائرية، وهي تمثل أقصى درجات الجزالة في القصيدة العمودية الحديثة.

خاتمة

إن القصيدة العمودية في الشعر العربي الحديث كانت جسر العبور الذي انتقلت عليه الأمة من عصور الظلام إلى عصور التنوير. فبفضل جزالة البارودي وثورية مفدي زكريا، أثبتت هذه القصيدة أنها ليست مجرد "هيكل قديم"، بل هي كائن حي يتنفس طموحات العرب، ويحفظ ذاكرتهم، ويصوغ أحلامهم في إيقاع لا يموت.

قائمة المراجع والمصادر:

- شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في الشعر العربي
- .1.أحمد هيكل: تطور الأدب الحديث في مصر.2
- .صالح خرفي: الشعر الجزائري الحديث.
- 3.محمود سامي البارودي: ديوان البارودي (تحقيق علي الجارم ومحمد شفيق معروف).4
- .مفدي زكريا: ديوان لهب الجزائر.
- 5.إحسان عباس: اتجاهات الشعر العربي المعاصر. .